بالنظام الحر صار في الحقيقة نظاما متسيبا ، فكانت قراءة مخططي مآسينا قراءة صحيحة ، وجدونا بدون روابط عضوية صلبة فقرروا قبل نضوج مناعتنا المجتمعية والوطنية ان يجعلوا منا ساحة لتصفية القضية الفلسطينية وساحة لتصفية حسابات التناقضات العربية ومجالا لتصادم اراداتها وموقعا بالتالي لافقاد العرب توازنهم ووعيهم للاولويات ، ونزيفا لمصداقيتهم وفعاليتهم الناشئة والمتوقعة في المجالين السياسي والاقتصادي ٠

ليس هنا المجال لشرح مقدار التشابك بين ترهل النظام اللبناني والمآساة التي نحن فيها منذ اكثر من سته عشر شهرا ، الا انه لن نتمكن بدون هذا الادراك من ان نستعيد المقدرة على وقف استمرار التدهور والانهيار ٠

ولعلي ، استطرادا ، اشير الى اهمية حرية الكلمة التي طالما اشرنا الى ان عدم المسؤولية في استعمالها يجعلنا كما جعلتنا سريعي العطب، وعدم احترام قدسيتها من شأنه ان يشحن المواقف المتشجنة ويحول دون حوار العقول وعدم احترام حرمة الكلمة طيلة السنوات الماضية من قبل معظم الساسة التقليديين والنخب المتحكمة ـ حتى لا نقول جميعهم ـ ساهم في ايصالنا الى الوضع الذي اصبح التوجه الى الغرائز البدائية والعشائرية اسهل بكثير جدا من التوجه الى العقل ٠ المهم ، حتى ولو جاء ذلك متأخرا، ان نعيد الى الكلمة مسؤوليتها وحرمتها ٠ فالعالم يتابع ما نقوله وما نصرح به وما نعلنه ٠ لانه على اساس ذلك يكتشف جدية قدرتنا على تجاوز مأساتنا ، او يبقى على رأيه باننا اصبحنا مدمنين على استنزاف ذاتنا ،حتى يكاد يحكم علينا العالم الان والاجيال اللاحقة بنا باننا قمنا بحرب بلا هدف فكان السلام الذي يتبع بدون امل ٠

لذا فان التكاثر في استعمال العنف اللفظي هو الذي يعطل امكانيات استشراف وضوح في التفكير الستراتيجي والمستقبلي ٠ وبرغم قناعتنا بان هذه الامكانيات متوفرة الا انها تعيش تحت ظل من الارهاب الفكري ومن الخوف مما جعل الكثير منها يغادر او ينزوي او يتعطل ٠ فكانت النتيجة ان مواقف كثيرة تؤخذ وتعلن وهي لا تنطوي على الكفاية من المعلومات ومن التحليل ومن التصور لما قد تحمله هذه المواقف من مردود عكسي ومن مجازر جعلت حربنا الراهنة من اوسخ الحروب واحقرها ٠

الا ان هذا الواقع المريض للنظام اللبناني وحتمية سقوطه وسرعة عطبه وعفونته ، لا يفسر هذا المستوى من الاقتتال وهذا الاستمرار لهذه المدة في التصعيد الاقتتالي ٠ من هنا تجيء عملية الربط المطلوبة ٠
منذ انتهاء حرب تشرين عام ١٩٧٣ ادرك العالم ان العرب وان لم